

التحرير والتنوير

ويجوز أن يكون الحنث حنث اليمين فإنهم كانوا يقسمون على أن لا بعث قال تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) فذلك من الحنث العظيم وقال تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) وقد جاءتهم آية إعجاز القرآن فلم يؤمنوا به .

والعظيم : القوي في نوعه أي الذنب الشديد والحنث العظيم هو الإشراك بالله . وفي حديث ابن مسعود أنه قال " قلت : يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : إن تدعوا الله ندا وهو خلقك " وقال تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) .

ومعنى (يصرون) : يثبتون عليه لا يقبلون زحرة عنه أي لا يضعون للدعوة إلى النظر في بطلان عقيدة الشرك .

وصيغة المضارع في (يصرون) و (يقولون) تفيد تكرار الإصرار والقول منه . وذكر فعل (كانوا) لإفادة أن ذلك ديدنهم .

والمراد من قوله (وكانوا يقولون إذا متنا وكنا ترابا) الخ إنهم كانوا يعتقدون استحالة البعث بعد تلك الحالة .

ويناطرون في ذلك بأن القول ذلك يستلزم أنهم يعتقدون استحالة البعث .

والاستفهام إنكاري كناية عن الإحالة والاستبعاد وتقدم نظير (إذا متنا وكنا ترابا) الخ في سورة الصافات .

وقرأ الجمهور (إذا متنا) بإثبات الاستفهام الأول والثاني أي إذا متنا إنا . وقرأه

نافع والكسائي وأبو جعفر بالاستفهام في (إذا متنا) والإخبار في (إنا لمبعوثون) .

وقرأ الجمهور (أو آباؤنا) بفتح الواو على أنها واو عطف عطفت استفهاما على استفهام

وقدمت همزة في الاستفهام على حرف عطف لصدارة الاستفهام وأعيد الاستفهام توكيدا للاستبعاد .

والمراد بالقول في قوله (وكانوا يقولون) الخ أنهم يعتقدون استجابة مدلول ذلك الاستفهام .

جرى لما ([50] معلوم يوم ميقات إلى لمجموعون [49] والآخيرين الأولين إن قل) A E

تعليل ما يلاقيه أصحاب الشمال من العذاب بما كانوا عليه من كفران النعمة وكان المقصود

من ذلك وعيد المشركين وكان إنكارهم البعث أدخل في استمرارهم على الكفر أمر الله رسوله A

بأن يخاطبهم بتحقيق وقوع البعث وشموله لهم ولآبائهم ولجميع الناس أي أنبيئهم بأن الأولين

والآخيرين أي هم آباؤهم يبعثون في اليوم المعين عند الله فقد انتهى الخبر عن حالهم يوم ترج

الأرض وما يتبعه .

وافتح الكلام بالأمر بالقول للاهتمام به كما افتتح به نظائره في آيات كثيرة ليكون ذلك تبليغا عن الله تعالى .

فيكون قوله (قل إن الأولين) الخ استئنافا ابتدائيا لمناسبة حكاية قولهم (إذا متنا وكنا ترابا) الآية .

والمراد ب (الأولين) : من يصدق عليه وصف (أول) بالنسبة لمن بعدهم والمراد ب (الآخرين) : من يصدق عليه وصف آخر بالنسبة لمن قبله .

ومعنى (مجموعون) : أنهم يبعثون ويحشرون جميعا وليس البعث على أفواج في أزمان مختلفة كما كان موت الناس بل يبعث الأولون والآخرون في يوم واحد . وهذا إبطال لما اقتضاه عطف (أو آباؤنا الأولون) في كلامهم من استنتاج استبعاد البعث لأنهم عدوا سبق من سبق موتهم أدل على تعذر بعثهم بعد أن مضت عليهم القرون ولم يبعث فريق منهم إلى يوم هذا القيل فالمعنى : أنكم .

وتأكيد الخبر ب (أن) واللام لرد إنكارهم مضمونة .

والميقات : هنا لمعنى الوقت والأجل وأصله اسم آلة للوقت وتوسعوا فيه فأطلقوه على الوقت نفسه بحيث تعتبر الميم والألف غير دالتين على معنى وتوسعوا فيه توسعا آخر فأطلقوه على مكان لعمل ما . ولعل ذلك متفرع على اعتبار ما في التوقيت من التحديد والضبط ومنه مواقيت الحج وهي أماكن يحرم الحاج بالحج عندها لا يتجاوزها حلالا . ومنه قول ابن عباس " لم يوقت رسول الله ﷺ في الخمر حدا معيناً " .

ويصح حمله في هذه الآية على معنى الكلام .

وقد ضمن (مجموعون) معنى مسوقون فتعلق به مجروره بحرف (إلى) لانتهاء وإلا فإن ظاهر (مجموعون) أن يعدى بحرف (في) .

وأفاد تعليق مجروره به بواسطة (إلى) أنه مسير إليه حتى ينتهي إليه فدل على مكان .

وهذا من الإيجاز